مملكة آشور وعلاقتها باليهود

م. د. عثمان عبد الله حسين الجوراني

قسم الشريعة- كلية العلوم الإسلامية - جامعة ديالى

الملخص:-

يتناول هذا البحث فترة تأريخية مهمة من التاريخ القديم؛ وهي فترة مملكتي الآشوريين وإسرائيل القديمتين، وطبيعة العلاقة بينهما، حيث نُقل في هذه الحقبة الآلاف من اليهود من مملكة إسرائيل قسراً من قبل الإمبراطورية الآشورية الحديثة إلى المناطق التابعة لها في شمال العراق وتركيا، وهو ما يعرف بالسبي الأول، وهذه الفترة يكتنفها شيء من الغموض نظرا لقلة المصادر التاريخية، وقد تبين أن العلاقة بين المملكتين كانت معقدة ومتنوعة ما بين السلم والحرب، وأسبابها الرئيسة ثلاث؛ الموقع الجغرافي المتميز لمملكة إسرائيل، والرغبة التوسعية للمملكة الآشورية، والتدخلات الخارجية من قبل الدولة الآرامية في دمشق وحكام مصر، وقد دارت الدراسة حول نشأة المملكة الآشورية وبيان العهود والأدوار التي مرت بها، من مرحلة النشوء، إلى مرحلة الرخاء والازدهار، ثم مرحلة الانهيار والسقوط، ثم تناولت في المبحث الثاني بيان موجز للتعريف بمملكة إسرائيل، ثم بيان حالة السلم والمصالحة آشور واسرائيل، ثم بيان حالة الحرب والعداوة والسبي معهم.

الكلمات المفتاحية: **الآشوريون، اليهود، السبي، الآراميون، التاريخ القديم، الحرب.**

The Kingdom of Assyria and its relationship with the Jews

Dr. Osman Abdullah Husain Al-Jorani

Department of Sharia, College of Islamic Sciences, University of Diyala, Iraq.

Abstract:-

This research examines an important historical period in ancient history: the period of the ancient kingdoms of Israel and Judah, and the nature of the relationship between them. During this period, thousands of Jews were forcibly transferred from the Kingdom of Israel by the Neo-Assyrian Empire to its territories in northern Iraq and Turkey. This period is shrouded in mystery due to the scarcity of historical sources. It has been shown that the relationship between the two kingdoms was complex and varied, ranging from peace to war. Its main causes were three: the distinct geographical location of the Kingdom of Israel, the expansionist ambitions of the Assyrian Kingdom, and external interventions by the Aramean state in Damascus and the rulers of Egypt. The study revolves around the emergence of the Assyrian Kingdom, detailing the eras and stages it passed through, from its emergence to its prosperity and flourishing, to its collapse and downfall. The second section provides a brief introduction to the Kingdom of Israel, followed by a description of the state of peace and reconciliation with the Assyrians, and finally a description of the state of war, hostility, and captivity with them.

Keywords: : ***Assyrians, Jews, captivity, Arameans, ancient history, war.***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يعتبر التاريخ من العلوم المهمة؛ إذ إنّه يكشف العمق الثقافيّ والحضاريّ لكلّ أمة، وهو يفسِّر كثيراً من التوجهات والآراء التي يتبناها العلماء والمفكرين في كل وقت، ومن جهة أخرى فالتاريخ يمثل حلقة الوصل القوية بيت الشعوب وتراثها وحضارتها وأراضيها، ومن ثمّة كانت العناية به عناية بجوهر الشعوب والأمم وحقيقتها وامتداداتها وتوجهاتها، من خلال ما يعطيه من تصور دقيق لها، وبيان واضح للتجارب التي مرّ بها الإنسان، وبالتالي يمنع من الوقوع بالأخطاء التي وقع بها الأسلاف قديماً، وبمنعى أدق أنه يُزودنا بالعبر والدروس التي تُفيدنا في التخطيط للمستقبل، من خلال التعرف على مسيرة الحضارات السابقة، ومعرفة عوامل نشأتها وقيامها، وأسباب تطورها وازدهارها، وعوامل هلاكها ودمارها وزوالها.

ولما كانت العلاقة بين اليهود والأمم الأخرى في المنطقة ذات جذور تاريخية، ولها أبعاد دينية وجذور قومية ممتدة لآلاف السنين، ولا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم على الصعيد المحلي والإقليمي؛ كان من الأهمية بمكان أن نركز البحث والدراسة على فترة من هذا التاريخ، وهي فترة الحكم الآشوري وتداعياته على المنطقة، وطبيعة علاقته باليهود؛ لنفهم بشكل دقيق طريقة تفكير الاسرائيليون تجاه القوميات الأخرى.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول: الحضارة الآشورية

المبحث الثاني: أحوال الآشوريين مع اليهود

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: الحضارة الآشورية

المطلب الأول: التعريف بالحضارة الآشورية

الآشوريين قوم من الساميين هاجروا من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، وذلك في فترة هجرة الأقوام السامية عن جزيرة العرب، منذ الألف الثالثة او الرابعة قبل الميلاد، ينسبون الى منطقة آشور؛ وهي المنطقة التي يحدها نهر دجلة في الشرق، وتشرف على الصحراء في الغرب والجنوب، وهي المدينة المعروفة أطلالها اليوم بقلعة الشرقاط الواقعة على الجانب الايمن من نهر دجلة على بعد حوالي تسع كيلومترات من جنوبي مدينة الشرقاط، واسم "آشور" على وجه الدقة نسبة الى الاله الآشوري (آشور) الذي عبده الآشوريون، فسميت العاصمة الأولى باسمه[1].

كما يعتقد بعض الباحثون، أنهم من الساميين الغربيين، حيث كانت هجرتهم من سورية إلى بلاد الرافدين [2].

عاش السكان في منطقة آشور على الزراعة القائمة على المطر وتطورت معيشتهم في ظلالها، فكانت أراضيهم عبارة عن مروج ومراعي حيوانية، وحقول الحنطة والشعير، وكانت قطعان الماشية والضأن والماعز على جوانب هذه الهضاب وتلك التلول، ولكن ذلك لم يمنع سكان بلاد آشور من ان ينشئوا قسما من الصناعات ويقيموا مشاريع ري ضخمة ويوجدوا صلات تجارية بينهم وبين المناطق المجاورة، أما عن اللسان فقد كان الآشوريون يتكلمون فيما بينهم لغة سامية قريبة من اللغة التي كان يتكلمها الأكديون، وكتبوا بالخط المسماري لغتهم الآشورية، وقد جاءت إلى آشور أكثر مظاهر الحضارة المبكرة من الجنوب الأكدي، ولكنها كانت في الوقت نفسه معرضة ايضا لتأثيرات من الشمال والغرب[3].

كانت آشور في بداياتها في مهب الرياح، فتارة تخضع لحكم الغزاة من الغرب، ثم لا تلبث أن تقع تحت حكم الدويلات الجنوبية الأكدية، وتارة تم تحت ملوك اور، ثم تحت

[1]) بريستيد، جيمس هنري، ٢٠١١، ص:١٩٨، أمين، احمد سليم، ١٩٨٩م، ص: ٣١٤.

[2]) أمين، احمد سليم، ١٩٨٩م، ص: ٣١٤.

[3]) درويش، محمود فهمي، ١٩٦١، ص/ ١٤٣-١٤٥، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٦٦.

حكم حمورابي او غيره من حكام بابل، فكان أهل آشور في حرب مستمرة علمتهم كيف يحمون حدودهم في الشمال والجنوب ، لذلك فليس غريبا ان كانت هذه الدولة الجديدة قد بنت قواعدها على اساس حربي، فقد كان لها في بادئ الأمر جنود غير نظاميين، ثم حل محلهم جيش منظم، وهو القوة الرئيسية للدولة الآشورية، ثم ما لبثت هذه الدولة أن تطورت الى تنظيم ثابت محكم لم تؤثر فيه المنافسات التي كانت بين الدويلات، وساعدت الاشوريين على ذلك انهم كانوا قد بدأوا باستعمال الخيل والعجلات في جيشهم ، وفي النهاية اصبحوا اعظم قوة حربية رآها العالم القديم، فكانت التجارة رائجة بينهم وبين البلدان، وتوثقت صلاتهم بالشعوب الأخرى، وكانت قوافل تجارتهم تبلغ آسيا الصغرى، وسلكوا ايضا الطرق الغربية للتجارة[1].

المطلب الثاني: الأدوار التي مرت بها الحضارة الآشورية

لما كانت الحقبة التي عاشتها بلاد آشور طويلة ومتقلبة وقد تخللتها تقلبات اساسية عدة، فقد رأى فريق من العلماء تقسيم تاريخ بلاد آشور الى ثلاثة ادوار رئيسية هي؛ الدور القديم، الدور الآشوري الوسيط، والدور الآشوري الحديث.

أولا: العهد الأشوري القديم (٤٠٠٠/٣٠٠٠-١٥٩٥ق.م.):

يبدأ هذا الدور بتأسيس مدينة آشور في حوالي أواخر الالف الرابعة أو أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد وينتهي في نهاية حكم مملكة بابل القديمة سنة ١٥٩٥ ق.م، فبعد سقوط مملكة أور انتهز الآشوريون الفرصة ونالوا استقلالهم عن تلك المملكة، فقام الملك الآشوري الأول بوزور بتأسيس مدينة آشور، وكان هذا العهد كثير الاضطراب، لم يكن فيه للأشوريين كيان سياسي ثابت، إذ بقيت الدولة الآشورية في ظل نزاعات عسكرية متكررة، ففي عهد المملكة الأكدية خضعوا للحكم الأكدي، ثم استقل بعض امرائهم، وفي أوائل العهد البابلي القديم (سلالة بابل الأولى) كونوا مملكة مستقلة باسم مملكة آشور، ولكن بعد ظهور حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م.) قضى على استقلاله، وقد وصل نفوذ المملكة

[1]) درويش، محمود فهمي، ١٩٦١، ص/ ١٤٣-١٤٥، رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧١.

الآشورية في هذا العهد إلى لبنان، ووجدت بعض الآثار للحضارة الأشورية في منطقة كبادوكيا، تعود للعهد الآشوري القديم[1].

ثانيا: العهد الأشوري الوسيط (١٥٩٥-٩١١ ق.م.):

يبدأ هذا العصر بعد عودة مدينة آشور إلى سلطة الآشوريون، وذلك بعد سقوط الدولة البابلية بيد الحيثيون، فعلى الرغم من تعرض الآشوريين للكثير من هجمات القبائل الآرامية وغزو الشعوب الجبلية كالحوريين والحيثيين إلا أنهم تغلبوا على جميع هذه الشدائد وخرجوا منها أقوياء منتصرين وحافظوا على كيانهم السياسي، وقد برز في هذا العهد عدد من الملوك الآشوريون، منهم الملك آشور أوبلط الاول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م.) الذي قضى على الحوريين وضم مملكتهم (ميتاني) الى سلطانه فتوسعت بذلك حدود المملكة الآشورية، ثم جاء بعده الملك أنليل نيراري الأول (١٣٠٠ق.م.) الذي تقاتل مع قوات الدولة الكاشية في موقعة شوكاكو، وقد كتب الطرفين انتصارهما على الآخر في هذه الموقعة، وقد توسعت في عصره حدود المملكة لتصل حتى الفرات شمالا الى كركميش -جرابلس الحالية- ثم توالت من بعده ملوك لأكثر من ١٣٠ عاماً أتصف أكثرهم بالضعف، فتجاسر عليهم الآراميين، حتى جاء الملك تجلات بلاسر (١١١٥-١٠٧٧) الذي أخضع الآراميين، ونجح كذلك في إخضاع بابل، فأعاد للمملكة هيبتها وسلطانها، وقد أرسل الحملات العسكرية الى الاقطار الشرقية والشمالية، وانتعشت في عهده الحركة المعمارية، فشيدت المعابد، وأعاد العاصمة إلى منطقة آشور، ثم تلا هذا الملك أحد عشر ملكاً ضِعافاً، دب في عصرهم الانحلال في المملكة، وتدهورت أحوالها، فانتهزت القبائل الآرامية هذه الظروف لتوسيع سلطانها شرقاً، فشكلت دويلات أرامية قوية في سورية وفي العراق في القرنين الحادي عشر والعاشر ق. م.، ثم جاء الملك اداد نيراري الثاني سنة ٩١١ ق.م. الذي استطاع اعادة كيان الدولة وتأسيس جيش قوي كان نواة الجيوش الغازية في العهد الآشوري الحديث على أثر

[1] حضارة وادي الرافدين، ص: ٩٣، الصالحي، صلاح رشيد، ٢٠١٧، ص: ١١٠.

تسلم الملك، وفي العهد الاخير أصبح للآشوريين دولة قوية ذات شأن يحسب لها حساب في منطقة الشرق القديم[1].

ثالثا: العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م.):

ينقسم هذا العهد إلى مرحلتين رئيستين هما؛ الإمبراطورية الآشورية الأولى، والامبراطورية الثانية، فصل بين المرحلتين فترة انتكاس، الأولى من (٨٢٤) إلى (٨٠٩)، والثانية من (٧٨٢) إلى (٧٤٥)، وقد استمر هذا العهد ثلاثة قرون حكم خلالها ستة عشر ملكا، وقد تمكن الآشوريون خلال هذه الفترة من تأسيس امبراطورية سامية عظيمة بلغت من القوة بحيث سيطرت في على منطقة الشرق الاوسط كلها؛ بضمنها آسيا الصغرى وسواحل بحر ايجه والخليج العربي ومصر وعيلام، بالإضافة إلى سيطرتهم على المناطق الجبلية في الشمال والشرق حتى بلاد أرمينية، وقد ترك الاشوريون أربع عواصم شخصت مواقع اطلالها: أولاها آشور، والثانية كالح والتي تعرف باسم نمرود تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد حوالي ٣٢ كيلومترا من جنوب شرقي مدينة الموصل، والثالثة نينوى تقع أطلالها على مسافة كيلومتر واحد من مدينة الموصل على الجانب الايسر من نهر دجلة، اما الرابعة فهي دور شروكين والتي تقع في قرية خرسباد شمال شرقي الموصل على بعد حوالي ١٨ كيلومترا؛ وينتهي هذا العهد بسقوط نينوى عاصمة الاشوريين الاخيرة عام ٦١٢ ق.م [2].

وفيما يلي بيان كل من هاتين المرحلتين:

أ- الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ ق.م):

يعتبر هذا العصر بمثابة نهضة شاملة للملكة الآشورية، حكم خلالها ستة ملوك، حيث قام الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) بنقل العاصمة الآشورية من مدينة آشور إلى كالح (نمرود) في الشمال، وذلك لإبعادها عن تأثير الحضارة البابلية، كما تمكن من إخضاع بلاد ما بين النهرين، والقبائل الآرامية في أعلي البلاد، وقام أيضا بتقسيم المملكة إلى أقاليم وولى عليها حكام وموظفين يقومون بجباية الجزية له ويرسلون له التقارير

[1] الصالحي، صلاح رشيد، ٢٠١٧، ص: ١١٠، ١٣٤، ١٣٨، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٣١٩.

[2] رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧٣، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٦٨.

بشأن ما يحدث في المملكة، ثم قام إبنه الملك شلمانصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) بمتابعة الحملات العسكرية التي ابتدأها أبيه، فغزا عاصمة المملكة الآرامية تل أحمر، ونقل سكانها إلى آشور واستبدلهم بالسكان الآشوريون ليجعل منها نقطة انطلاق لحملاته العسكرية، وتمكن من السيطرة على أغلب المدن السورية حتى وصل إلى أعالي منابع دجلة، وقد حكم هذا الملك أربع وثلاثين سنة قام خلالها باثنين وثلاثين حملة عسكرية، ثم جاء من بعده ابنه الملك شمشي اداد الخامس (٨٠٩-٧٨٢ ف.م) وفي عهده واجه الآشوريون مملكة الميديين في الشمال الشرقي، ومملكة أورارتو في الشمال، وقد تمكنت الدولتين من تقليل نفوذ الآشورين، كما اشتد في عهده التأثير البابلي على المملكة الآشورية، فاستعمل اللغة البالية إلى جنب اللغة الآشورية، وانتشرت عبادة الآلهة البابلية؛ وذلك أن الملك شلمناصر الثالث كانت قد تزوج (سمو رامات) البابلية والتي عرفت في النصوص اليونانية بـ (سميراميس) فكان لها تأثير في نشر الثقافة البابلية، كما أنها باشرت شؤون الحكم والإدارة عندما كانت وصية على ابنها شمشي اداد لمدة خمس سنوات، ثم تعاقب على الحكم ثلاث ملوك ضعاف زادت الأحوال في عهدهم سوءً، حيث لم يتمكنوا من تصحيح الأوضاع ومواجهة التحديات الخارجية، حتى جاءت المرحلة الثانية من الحكم الآشوري الحديث [١].

[١] ـــــــ أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٧٥- ٢٧٧، رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧٣.

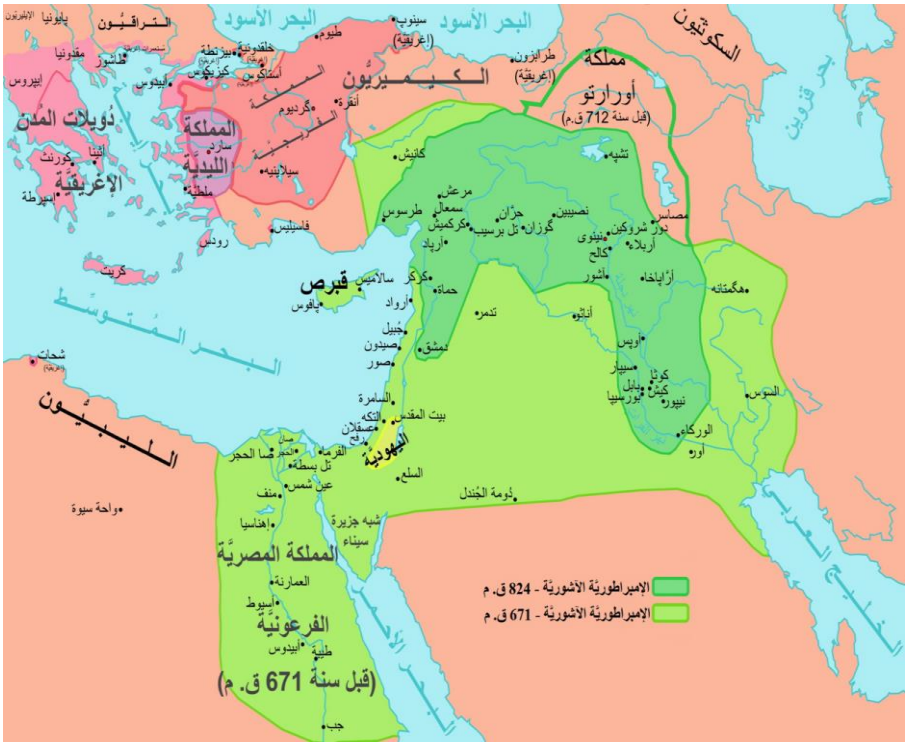

الشكل رقم (١) حدود المملكة الآشورية

ب- الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥- ٦٢٦ ق.م):

ابتدأ هذا العهد بعد أن سيطر تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥- ٧٢٦ ق.م) على الحكم أثر قيامه بانقلاب عسكري، وقد مثل وصوله للسلطة بداية مرحلة قوية جديدة، حيث قام بإصلاحات أضعف من خلالها سلطة الكهنة، وأعاد الضرائب إلى مدينتي آشور وحران بعد كانت معفيتان منها، ثم حاول القيام بتحطيم القوميات داخل حدود الإمبراطورية، فقام بترحيل المواطنين من أماكن إقامتهم إلى أماكن أخرى، كما نشر اللغة الآرامية، وأسس مدن جديدة تحمل تقاليد ومظاهر الثقافة الآشورية، وسعى أيضاً إلى توحيد الأقاليم التي دخلت تحت حكم الإمبراطورية الآشورية، فأعاد تقريبا كل المدن السورية – الفلسطينية إلى الحكم الآشورية بعد أن تصدى للآورارتنين في الحدود الشمالية، كما واجهة الآراميين والكلدانيين في المناطق الجنوبية للبلاد البابلية من دون أن يتعرض لملك بابل الضعيف (نابو – نصر) الذي اقتصرت سلطته على العاصمة، كما أنه لم يتعرض للمدن البابلية المقدسة

(بابل و بورسيبا)، وعندما استتب له الأمر نصب نفسه ملكاً بابل، بعد أن قدم الطاعة لمردوك إله المدينة وقبل يديه، وبذلك أصبح ملكاً على أشور وبابل في آن واحد رغبة منه في دمج المقاطعتين في دولة واحدة [1].

انتقل الحكم من بعد الملك تجلات إلى القائد العسكري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) والذي اتبع سياسة داخلية جديدة، حيث اهتم بالمنشآت العمرانية، وأعفى آشور وحران من الضرائب، وأعاد سلطة الكهنة، أما السياسة الخارجية فإنها لم تتغير؛ حيث ركز على ترسيخ أسس الامبراطورية الآشورية ومواجهة المشاكل الرئيسة المتمثلة بالمشكلة البابلية في الجنوب، وحركات التمرد والثورات في بلاد الشام وفلسطين والمدن الفينيقية، فضلاً عن أن الأوضاع العامة لم تعد كما كانت عليه من قبل، فإن قبائل جديدة ظهرت في أنحاء مختلفة في الشمال: الموشكيون في آسيا الصغرى، والسيماريون في الشمال الشرقي، والميديون في إيران [2].

تلا سرجون الثاني الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، والذي كان ملكا صارما، فقد تمكن من صد هجوم المدن المتحالفة على المملكة، حيث اجتمعت عدد من المدن الفينيقية والفلسطينية بمساعدة مصر الخائفة على مصالحها على الشاطئ وفي قبرص، لكن تمكن الملك سنحاريب من إخماد الثورة فحاصرت جيوشه مدينة صور وأجبرت ملكها لولي على الهرب، كما استولى على بعض مدن الشاطئ، وفرض عليها الجزية، وهزم الجيش المصري، واستولى على عامة المدن الفلسطينية [3].

أما بابل فقد توالي الولاة الآشوريون عليها وساءت الأحوال، فلما عجز سنحاريب عن انهاء حالة الفوضى فيها قرر القضاء عليها نهائياً بعد أن اغتالوا ابنه (أشور - نادين - شومي، (٧٠٠ - ٦٩٣ ق.م) الوالي عليها، فحاصرها، ودمرها، ونقل تمثال الاله مردوك إلى أشور، لكن بعد أن تولى السلطة ابنه اسرحدون (٦٨٠- ٦٩٩ ق.م)، وذلك أن أمه بابلية

[1] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٧٩- ٢٨١.

[2] رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧٣، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٠.

[3] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٠.

وتزوج من امرأة بابلية، فبنى المدينة من جديد، ورمم معابدها، وأعادها إلى ما كانت عليه [1].

على المستوى الخارجي واصل أسرحدون الحملات العسكرية التقليدية وقضى على تحالف تزعمته صيدا، فحاصرها ودك أسوارها وقتل ملكها عبدي ملكوتي في سنة ٦٧٧ ق.م، ثم قاد أسر حدون في سنة ٦٧٠ ق.م حملة على الحدود المصرية، حيث كانت جيوش ملك مصر طهرقة قد تجمعت لمحاربته، فتمكنت الجيوش الأشورية من تحقيق النصر فلاحقت المصريين بعد تراجعهم، وفر طهرقة إلى الجنوب، وبهذا أصبحت مصر ولاية خاضعة لأشور، وعُين عليها حاكم مصري [2].

ثم قام الملك أسرحدون بتقسيم المملكة بين ابنيه، فأعطى شمش شوم بابل وحكم فيها باسم الاله مردوك، وحصل أشور بانيبال على نينوى وحكم فيها باسم الاله آشور، لكن علاقة الأخوة لم تغن شيئاً، حيث نشبت الحرب بينهما فيما بعد سنة (٦٥٢ ق.م)، حيث تحالفت بابل مع كافة الامارات الجنوبية باستثناء بعض المدن، مثل أوروك التي بقيت مخلصة للملك، ووقف إلى جانب هذا التحالف امراء الشام وفلسطين وعرب الصحراء، وكيكاز ملك ليديا، وقد استمرت الحروب أربع سنوات، حتى انتهت بانتصار الآشوريون مرة أخرى، وتم تدمير بابل للمرة الثانية بعد حصار دام سنتين، لكن أشور بانيبال نفسه أعاد بناء المدينة ورمم معابدها، وتمكن من القضاء على جميع منافسيه في بابل والأقاليم الأخرى، كما قضى في سنة ٦٣٩ ق.م، على شوش وصمتت منذ ذلك الوقت كافة المصادر العيلامية [3].

كان آشور بانيبال عسكريا محنكا وقائدا حكيما، فعلى الرغم من كثرة العمليات الحربية التي شنها، فإنه كان قد أوكل أمر الاهتمام بها إلى قادة عسكريين حققوا انتصارات باهرة باسمه، في حين انصرف هو إلى في الداخل إلى الأمور العلمية، فاهتم بالأدب والفن والعمران، وترك لنا مجموعة كبرى من المشاهد النحتية الجدارية في قصره الخاص، أو في قصر جده سنحاريب في نينوى، منها صورة اللبوة المجروحة والتي تعتبر اليوم من أجمل

[1] رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧٣، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨١.

[2] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨١.

[3] سليمان، عامر، ١٩٩٢، ص: ١٥٥-١٥٩، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٣.

القطع الفنية الآشورية، ،ترك أيضا مشاهد صيد الأسود، وأمر بجمع المصادر والنصوص القديمة في مكتبة كبيرة في نينوى تعرف حالياً باسمه، عُثر فيها على عدد كبير من الرقم التي ألقت الأضواء على النتاج الفكري في الشرق الأدنى القديم [١].

المطلب الثالث: انهيار الإمبراطورية الآشورية

لقد كانت هناك أسباب عدة أدت بمجموعها في النهاية إلى انهيار الإمبراطورية الآشورية؛ فالسياسة الخارجية التي انتهجها الملوك الآشورين كانت قائمة على الإغراق في الحملات العسكرية على حساب الجوانب الثقافية والحضارية، بحيث كانت أغلب أيام ملوكها عبارة عن حروب متواصلة، وأيضا كانت سياسة القتل والبطش والتهجير الجماعي سبب في نقمة الشعوب وسخطها، ومن جهة أخرى فإن المجتمع الأشوري كان ذا طابع طبقي، فالأشراف والكهنة وكبار الموظفين والضباط العسكريين المتمتعين بامتيازات خاصة جعلتهم دعائم هذا المجتمع، وفي المقابل نجد أصحاب المهن الحرة وبعض التجار الصغار، ثم الفقراء المعدمين من عامة الشعب الذين يتشكل منهم الجيش ورجال الشرطة، تضاف إليهم أعداد كبيرة من الأرقاء والمسخرين من أسرى الحرب [٢].

كما كانت هنالك تناقضات داخلية دفعت إلى الصراع الداخلي بين الاتجاهات السياسية والتنافس على العرش بين ورثة الملك، الأمر الذي أدى إلى اغتيال الملك سنحاريب على يد عدد من أبنائه، كما تسبب بثورات داخلية، كالثورة التي قام بها شمش – شوم أوكين ملك بابل على أخيه أشور بانيبال ملك آشور، يضاف إلى ذلك حركات التمرد والعصيان المتكررة في الأقاليم الخاضعة للإمبراطورية والتي استنزفت القوى الأشورية وأدت بها إلى الهلاك [٣].

كانت نقطة بداية النهاية بموت الملك أشور بانيبال، حيث ورث العرش من بعده أحد أبنائه وهو (أشور ايتيل – ايلاني) الذي استطاع أن يصد الهجوم الذي قام به الميديون على الحدود الأشورية الشرقية، فهزمهم وقتل قائدهم، ثم ما لبث قائد الجيش الأشوري أن نصب نفسه ملكاً على العرش في سنة ٦٢٠ ق.م إثر قيامه بانقلاب عسكري، لكنه عزل بعد فترة قصيرة على يد أحد أبناء أشور بانيبال، وفي هذا الوقت توصل إلى الحكم في بابل، أحد قادة الجيش البابلي المتحالف مع الميديين

[١] باقر، طه، ١٩٨٦، ص:٥٢٨، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٣.

[٢] رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، ص: ٧٤، أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٦.

[٣] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٦.

وهو القائد نابو بولاصر، وتشكل من جهة أخرى حلف ثان جمع بين أشوريين، وقبيلة الميتريين الايرانية الغربية، والسكيتيين الذين كانوا بالأمس القريب من ألد أعداء الدولة الآشورية، قام أولا سياكزار (٦٥٣- ٥٨٥ ق.م) بشن هجومه على أشور فباء بالفشل، ثم عاد وهيأ حملة جديدة وحارب السكيتيين، وقضى عليهم في سنة ٦١٦ ق. م، ومن جهة أخرى كان حليفه نابو بولاصر قد حقق أول انتصار له على الآشوريين في أواسط الفرات لكنه تراجع عن حصار مدينة أشور ولم يتمكن من الصمود أمام تحالف حثي أشوري مصري، لكن ما لبثت أن سقطت اشور أخيراً سنة ٦١٤ ق.م، ثم تبعتها نينوى سنة ٦١٢ ق.م، على أثر هجمات متتالية قام بها تحالف الميديين والكلدانيين، وهكذا كانت نهاية أشور بعد أن دمرت معظم مدنها تدميراً كبيراً لدرجة أن الأجيال اللاحقة لم تعد تتذكر مواقعها [1].

المبحث الثاني: أحوال الآشوريين مع اليهود

المطلب الأول: التعريف بمملكة إسرائيل

كانت مملكة إسرائيل تشمل المنطقة التي يسكنها أسباط -أبناء- يعقوب -إسرائيل- (عليه السلام) الاثنا عشر، وهم: أشير، بنيامين، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، لاوي، نفتالي، يساكر، يهوذا، ويوسف، وذلك حتى وفاة الملك سليمان بن داود (عليه السلام) سنة ٩٣١ ق.م، ثم بعد وفاة النبي سليمان (عليه السلام) انقسمت المملكة إلى قسمين، قسم جنوبي ويُسمَّى بمملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم بزعامة رحبعام بن سليمان، وقد سكنها سبطان من أسباط يعقوب (عليه السلام) وهما يهوذا وبنيامين؛ وقسم شمالي يُسمَّى مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة بزعامة يربعام ناباط من سبط أفرايم، وقد سكنه بقية الأسباط العشرة، وقد كان هذا القسم أكبر من القسم الجنوبي بثلاثة أضعاف، وهذا الانقسام كان بسبب شرور بني إسرائيل الكثيرة وبُعدهم عن الرب، لذلك فإن الله وعد بتمزيق إسرائيل، فقد جاء في سفر الملوك: "وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط" [2].

[1]) أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٧.

[2])(سفر الملوك الأول، ١١: ٣١).

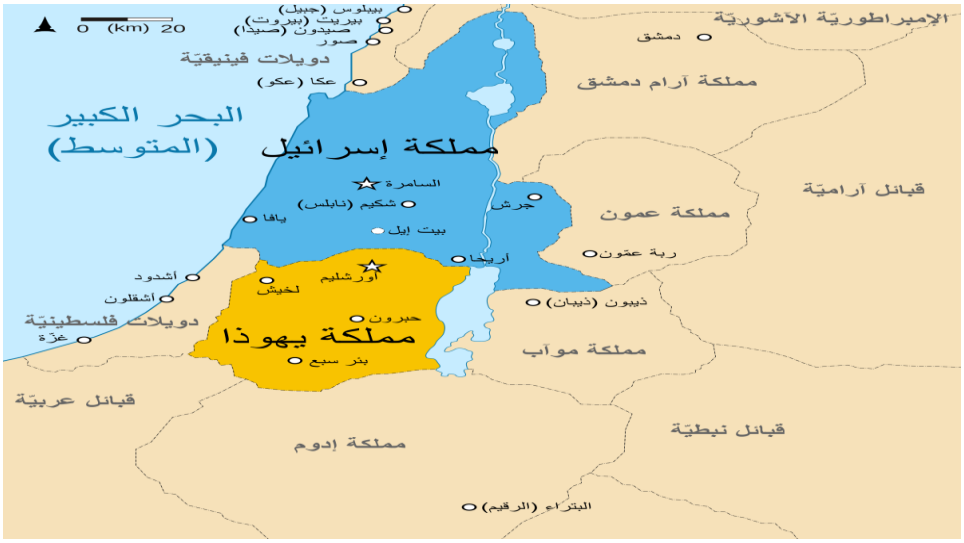

شكل رقم (٢) مملكة اسرائيل

تمتعت إسرائيل في تلك الحقبة بموقع مربح استراتيجيًا واقتصاديًا، حيث كانت تُسيطر على موانئ البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى الأراضي التي تمتد إلى الجنوب من سلسلة جبال لبنان، وكذلك الأراضي الزراعية الخصبة والغنية بين الساحل ونهر الأردن، مما وفر رابطًا بين شبكات الطرق المختلفة عبر البحر والصحراء، وقد تنوعت العلاقات ما بين إسرائيل ومملكة آشور ما بين الحياد والود والعداء، وكانت طبيعة هذه العلاقة مع آشور تعتمد بدرجة كبيرة على علاقة إسرائيل بدمشق، جارتها الشرقية ومنافستها الرئيسية في المنطقة؛ فعندما يكون الطرفان على خلاف تكون علاقة إسرائيل بمملكة آشور قوية، وتَفْتُر هذه العلاقة عندما تكون إسرائيل في حالة تحالف مع دمشق [1].

[1] ـــــــ أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٧٩.

المطلب الثاني: حالة الصلح والمهادنة بين ملوك آشور واسرائيل:

كانت العلاقة بين الملوك الآشوريين واليهود بشكل عام معقدة ومتغيرة، حيث تخللتها فترات تحالف ومصالحة، بالإضافة إلى فترات الحرب والصراع.

ففي فترة الصلح اتسمت العلاقة بين مملكة إسرائيل ومملكة آشور بالودية والصداقة، بل ربما ظهرت تحالفات عرضية بينهم في بعض الأحيان، وقد مثلت غالبا المرحلة الأولى من نشأة المملكة الآشورية، في عهد الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥- ٧٢٦ ق.م) اتسمت العلاقة بين الآشوريين واليهود بالصلح والمسالمة، فبعد أن قال الملك تجلات بلاسر بتتبع الأورارتيين وسيطر على مدنهم، انطلق لمواجهة الأقاليم السورية والفلسطينية فأخضع الامارات الشمالية وكلا من دمشق والسامرة التي أصبحت ولاية تابعة لأشور، وولى عليها حاكما من الاسرائيليين، كما تلقى الجزية من ملك يهودا الذي حضر إلى دمشق لتقديم الطاعة والولاء لملك اشور ... وواجه من جهة أخرى عرب الصحراء، في شمالي شبه الجزيرة العربية، حيث وردت في نصوصه أسماء عربية منها: اسمان لملكتين أطلق عليهما لقب ملكة أريبي، وهما زبيبي (زبيبة) التي أدت الجزية واعترفت بسلطان أشور، وسمسى (شمس) التي تمردت، بل ساعدت الآراميين... فحاربها ملك أشور وأجبرها على الفرار، ثم عادت و خضعت للسلطة الأشورية [1].

ولما كانت سياسة هذا الملك قائمة على توحيد الأقاليم من خلال التغيير الديموغرافي، فقد رحّل في عامه الثالث من سكان شمالي وغربي سوريا إلى مناطق أخرى مالا يقل عن ٣٢٠٠٠، وأسكن محلهم جماعات أتى بها من جبال زغروس ومنطقة نايري، كما وأتى بعدد من الاسرائيليين إلى أشور [2].

ويُصوّر خضوع الملك يهو لشلمانصر الثالث ملك آشور (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) بوضوح على إحدى اللوحات المركزية لما يُسمى بالمسلة السوداء، مما يُبرز أهمية هذا التحالف

[1] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٧٩.
[2] أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٧٩.

لآشور، حيث تصور رجلاً في حلّة كنعانية ساجداً عند قدمي الملك الآشوري شلمانصر، وقد كتب تحتها: "جزية ياهو بن عمري" [1].

شكل رقم (٣) المسلة السوداء

المطلب الثالث: فترة الحرب والعداوة بين ملوك آشور واسرائيل:

تميزت مملكة إسرائيل بكثرة شرورهم وشدة قسوتهم، فكان من الطبيعي أن يُسلّط الله عليهم من هو أشد قسوة وأكثر شراً منهم، وقد تمثل ذلك بالآشوريين الذين كانوا يمثلون الطغيان والاستبداد في العهد القديم، وهنا نجد أن نبوة ناحوم تنذر بمجيء الخراب الذي سيقع على نينوى التي يُسمِّيها مدينة الدماء [2] بسبب قسوتها في نهب وسلب وتخريب بلاد كثيرة، ومن يطالع السجلات الآشورية يجد أن ملوكهم كانوا يتفاخرون بقوتهم الحربية

[1]) فراس سواح، فراس، ٢٠١٥م، ص: ٢٤.

[2]) (ناحوم، ٣: ١)

ومعاملتهم الأمم المغلوبة على أمرها بكل صنوف القسوة، بل وكانوا يتباهون بوسائل التعذيب للأسرى الذين يقعون في أيديهم، وأدخلوا وسائل جديدة لم تكن معروفة من قبل[1]، وتقول دائرة المعارف الكتابية إن الآشوريون كانوا جبابرة وقساة في الحروب وتُشبِّه دولتهم العسكرية بالأتراك العثمانيين [2].

عندما بدأت مملكة آشور في التوسع وفرض سيطرتها على المنطقة، وبالأخص عندما نقلت الحدود الغربية لآشور من نهر الفرات إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط وسلسلة جبال لبنان؛ فتحولت العلاقة بينهم وبين اليهود إلى صراع أدى في النهاية إلى احتلال مملكة إسرائيل الشمالية وتدميرها، وقد كان أول هجوم للآشوريين على اليهود في زمن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م.)، حيث احتل إسرائيل وفرض الجزية عليهم، ثم عاد قافلاً إلى بلاده، ثم جاء بعد ذلك الملك الآشوري تغلاث فلاصر الثالث (٧٤٦-٧٢٧ ق.م.) ليبدأ الهجوم الثاني، ووفقًا للكتاب المقدس، فقد استقدم ملك يهوذا "آحاز" الغزاة إلى إسرائيل، وطلب من تغلاث فلاصر التدخل عسكريًا ضد إسرائيل ودمشق، فقد جاء في سفر الملوك أن آحاز أرسل إلى ملك أشور قائلاً: "أنا عبدك وعبدك، اصعد وأنقذني من يد ملك أرام (أي دمشق) وملك إسرائيل اللذين يهاجمانني"[3]، وأرسل له الهدايا من الذهب والفضة، فاستجاب ملك أشور وقام بالهجوم على إسرائيل الشمالية ليدمّر جميع مدنها وقراها فيما عدا عاصمتها السامرة، وقد سبى أغلب أهلها إلى بلاد آشور، حيث كان يقدَّر عددهم بأكثر من (٢٠٠,٠٠٠) نسمة، وقد جاء تفصيل ذلك في سفر الملوك الثاني، حيث ورد ما نصه: "في أيام فقح ملك إسرائيل (٧٣٧-٧٣٢ ق.م.) جاء تغلاث فلاصر ملك آشور وأخذ عيون وإبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالي وسباهم إلى آشور" [4]، وقد تم إسكان هؤلاء المسبيين في شمال العراق وتركيا [5].

[1] (قاموس الكتاب المقدس ص٧٨).
[2] دائرة المعارف العثمانية (٣٣٢/١).
[3] (٢الملوك، ١٦: ٧-٩).
[4] (٢ ملوك ١٥: ٢٩)
[5] (٢ ملوك ١٨: ١١)، كامل، وهيب جورجي، ١٩٧٦م (ص:١٥١).

جاء بعد ذلك الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦–٧٢٢ ق.م.) وقام بالهجوم على مدينة السامرة، وذلك بعد أن امتنع الملك اليهودي "هوشع" من دفع الجزية لآشور، وسعى إلى عقد تحالف مع ملك مصر "سو"، وهي دولة يعدها الآشوريون عدوة لهم، فتحرك الآشوريون نحوهم، وحاصروا السامرة لمدة ثلاث سنوات، وسبى عدداً من أهلها، لكنه توفي قبل أن يقتحمها، وفي العام التالي قام خلَفه سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) بالهجوم مرة أخرى على السامرة فدمرها وقضى على مملكة إسرائيل نهائياً، وسبى من اليهود (٢٧٢٩٠) نسمة وأسكنهم في ناحية حران قرب ضفة الخابور ومناطق شمال العراق، ثم جاء الملك سنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م.) وشنّ هجوماً على مملكة يهوذا سنة ٧٠١ ق.م. فاكتسحت الجيوش الآشورية المدن اليهودية، وحاصرت القدس في عهد ملكها حزقيا، وذلك بعد أن تحالفت المدن الفينيقية والفلسطينية ضد الإمبراطورية الأشورية، وقد ذكرت المصادر الأشورية أن سنحاريب انتصر في هذه المعركة، واستولى على ٤٦ مدينة تابعة للقدس، واسر وسبى (٢٠٠١٥٠) شخصاً من اليهود، وأسكنهم في بلاد آشور، فقد جاء في سفر الملوك: "صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها" [(١)]، وعاد إلى نينوى محملاً بالغنائم والأسلاب، لكن مدينة أورشليم لم تستسلم فالتوراة تشير إلى انهزام الأشوريين بعد أن حل فيهم الموت الإلهي، ويقول هيرودوت أن فرعون مصر أرسل جرذانا أطلقها جنوده في معسكرات الأشوريين، فقطعت أوتار أقواسهم وأتلفت جعاب سهامهم، ربما كان للجرذان دور ليس في قطع أوتار الأقواس بل في نشر وباء الطاعون بين جنود الأشوريين، ثم لما تولى ابنه اسرحدون أنهى حصاره للقدس وأخمد الثورات التي أثيرت هناك [(٢)].

كانت سياسة المملكة الآشورية تجاه الشعوب المنهزمة تقضي بأن يتم سبي غالبية الشعب إلى مناطق أشور، ثم يأتوا بشعوب غريبة ليُسكنوها مكان الشعوب المسبية، وهذا ما تم فعلاً مع إسرائيل؛ حيث جاء الآشوريون بشعوب وثنية فوطّنوها في أرض إسرائيل،

[١]) (٢ ملوك ١٨: ١٣).

[٢]) أمهز، محمود، ٢٠١٠، ص: ٢٨٠، كامل، وهيب جورجي، ١٩٧٦م، ص:١٥٢، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١١/ ٧، بترقيم الشاملة آليا).

فعاشوا مع السكان المحليين، واختلطوا بهم وتزوجوا منهم، وأصبحوا يُعرفوا فيما بعد بالسامريين، الذين احتقرهم اليهود طوال التاريخ وحتى زمن العهد الجديد، وهؤلاء السامريون كانوا يعبدون الرب مع أصنامهم، وقد كان الهدف من عبادتهم للرب استرضاءه، ولم يكن السبب لعبادتهم مسرة الله، وكأنهم يتعاملون مع الله كوثن آخر يُضيفونه إلى مجموعة أوثانهم [١].

تبنى الآشوريين تجاه اليهود المسبيين على أرضهم سياسة محددة تمثلت بتشتيت اليهود في الجبال المنيعة كي لا يتجمعوا مرة أخرى ويحاولوا العودة إلى إسرائيل، ونتيجة لذلك بقوا منعزلين عن أبناء جلدتهم من اليهود الباقين في المناطق الأخرى، بمن فيهم يهود بابل فيما بعد ويهود إسرائيل نفسها، ومن ثمّ اعتقد حاخامات اليهود في إسرائيل وبقية البلاد أن اليهود المسبيين في العراق قد أصبحوا وثنيين، فانقطع الاتصال بينهم وانقطعت أخبارهم، فقد جاء في سفر الملوك الثاني: "وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل، لم يحيدوا عنها، حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء، فسُبي إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم" [٢].

وتشير المدونات الآشورية إلى أن مجموع من سباهم الآشوريين من اليهود يقرب من حوالي (٤٠٠) ألف، تركّزوا في شمال العراق في منطقة صندور قرب دهوك وزاخو والعمادية والزيبار وبرواري والدوسكي والمزوري وغيرها، وكان اليهود يتكلمون اللغة الآرامية (السريانية) بلهجة الترجوم، وبقي يهود شمال العراق حتى عودتهم إلى فلسطين في منتصف القرن العشرين يتكلمون السريانية بلهجة الترجوم [٣].

[١] (لوقس١٠: ٢٥– ٣٧). (٢ملوك ١٧: ٢٤– ٤١).

[٢] (٢ ملوك ١٧: ١–٢٣)، وينظر كذلك: سفر أخبار الأيام الأول (٥: ٢٦).

[٣] يوسف، يوسف سليمان، ٢٠١٧م، ص: ٥.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة أدون أهم النتائج التي توصلت إليها، وذلك في النقاط الآتية:

١- تعتبر مملكة آشور من الممالك التاريخية المهمة التي قامت في العراق، واتسع ملكها إلى المناطق المجاورة، ولها عمق تأريخي يمتد لآلاف السنين.

٢- ينقسم التاريخ الآشوري الى ثلاثة ادوار رئيسية هي؛ الدور القديم، الدور الآشوري الوسيط، والدور الآشوري الحديث، وقد تفاوتت مراحل القوة في تلك المملكة بحسب تلك الأدوار.

٣- مثل العهد الآشوري الحديث أوج العظمة والقوة والهيمنة في مملكة آشور.

٤- كانت العلاقة بين الملوك الآشوريين واليهود بشكل عام معقدة ومتغيرة، حيث تخللتها فترات تحالف ومصالحة، بالإضافة إلى فترات الحرب والصراع.

٥- مثلت فترة الصلح المرحلة الأولى من نشأة المملكة الآشورية، تحديدا في عهد الملك تجلات بلاسر الثالث.

٦- ابتدأت مرحلة الحرب والعداوة عندما بدأت مملكة آشور في التوسع وفرض سيطرتها على المنطقة، فتحولت العلاقة بينهم وبين اليهود إلى صراع أدى في النهاية إلى احتلال مملكة إسرائيل الشمالية وتدميرها.

المصادر

الكتاب المقدس، انجيل لوقا، نسخة الكترونية على موقع الأنبا تكلا هيمانوت (https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books).

الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول والثاني، ترجمة: فان دايك، نسخة إلكترونية على الموقع (https://goodshepherdtv.com/bible/chapter.php?book).

الكتاب المقدس، سفر ناحوم، نسخة الكترونية على موقع الأنبا تكلا هيمانوت (https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books).

الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، نسخة الكترونية على موقع الأنبا تكـــلا هيمـــانوت (https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books).

أمهز، محمود، ٢٠١٠، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

باقر، طه، ١٩٨٦، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.

بريستيد، جيمس هنري، ٢٠١١، انتصار الحضارة، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر.

درويش، محمود فهمي، ١٩٦١، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، دار التمدن، بغداد، العراق

رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤م، حضارة وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، سورية.

سليمان، عامر، ١٩٩٢، العراق في التاريخ القديم، دار الكتب العامة، الموصل، العراق.

الصالحي، صلاح رشيد، ٢٠١٧، بلاد الرافدين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.

فراس سواح، فراس، ٢٠١٥م، تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة يهوذا، دار علاء الدين، دمشق، سورية.

كامل، وهيب جورجي، ١٩٧٦م، مقدمات العهد القديم، رابطة خريجي الكلية الاكليريكية للأقباط، القاهرة، مصر.

المسيري، عبد الوهاب، د. ت، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، بيروت، لبنان.

سليم، احمد أمين، ١٩٨٩م، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

يوسف، يوسف سليمان، ٢٠١٧م، يهود السبي الآشوري، دار الغرب، بيروت، لبنان.